من أعلام القضاء

الشيخ صالح بن علي بن غصون (رحمه الله)

١٣٤١هـ-١٤١٩هـ

إعداد الدكتور/ طارق بن محمد بن عبدالله الخويطر *

اسمه:

هو الشيخ صالح بن علي بن فهد بن غصون من قبيلة آل حميدان وهبه من تميم من أهل الرس، وأما سبب التسمية بالغصون فقد سألت الشيخ - رحمه الله - عن ذلك، فقال: إنني لا أعرف سبب ذلك، وقد

* تخرج من كلية الشريعة بالرياض عام ١٤٠٨هـ.
- تخرج من المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٢هـ.
- حصل على درجة الدكتوراه من المعهد العالي للقضاء عام ١٤١٩هـ، وكان موضوع رسالة الماجستير (أحكام التجسس في الفقه الإسلامي)، وموضوع رسالة الدكتوراه «المال المأخوذ ظلماً وما يجب فيه في الفقه والنظام».
- يعمل الآن مدرساً في معهد القرآن الكريم بالحرس الوطني.
- لازم الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - منذ عام ١٤٠١هـ.

توفي والدي وأنا صغير ولم أسأله أو أذكر أن أحداً سأله.

مولده:

ولد - رحمه الله - في مدينة الرس عام ١٣٤١هـ، وتوفي والده وله من العمر ١٣ عاماً، وبعد سنتين من وفاة والده أصيب بمرض يسمى «أبو روب» ففقد بصره.

نشأته:

نشأ - رحمه الله - يتيماً فقيراً، ومع ذلك لم يمنعه ذلك من طلب العلم والاجتهاد فيه، وقد عاش - رحمه الله - في كنف والدته، وهي امرأة صالحة، فأحسنت تربيته التربية الدينية، حدثني عنها الشيخ مراراً بأنها صاحبة دين، وأنها تصلي كثيراً في الليل، وأنه يسمع بكاءها إذا صلت فتأثر الشيخ بصلاح أمه ودعائها، فتوجه نحو طلب العلم.

مشايخه:

سافر الشيخ - رحمه الله - إلى الرياض ولازم مجالس سماحة الشيخ

محمد بن إبراهيم، ودرس عليه العلوم الشرعية، كما أخذ عن فضيلة الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم الفرائض، وله مكاتبات مع الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله -، كما كانت له صلة بفضيلة الشيخ محمد بن مانع، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وسماحة الشيخ عبدالله بن حميد - رحمهم الله جميعاً - وقد كان - رحمه الله - كثير الذكر لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، ودائما ما يذكر فضله عليه بعد الله، ومحاسنه وصلابته في الحق وعزيمته في التعليم، وفطنته وذكاءه وإصلاحه وإخلاصه، وقد كان الشيخ يترحم عليه دائماً، ويدعو له بالرحمة والمغفرة.

محفوظاته:

حفظ الشيخ في أثناء ملازمته لسماحة الشيخ ما يلي:

١ - القرآن الكريم وقد اتقنه - رحمه الله - قراءة وحفظاً حتى ذكر لي أنه يقرأ القرآن كاملاً بدون خطأ وأحياناً بخطأ واحد.

٢ - زاد المستقنع: وقد كان - رحمه الله - يردده ويشرحه في الدروس التي أقامها في أثناء وجوده في البلاد التي عمل فيها قاضياً، ولما سافر

إلى الولايات المتحدة للعلاج أخذ معه الزاد وبعض كتب التفسير، وقد قال لي - رحمه الله - إنني استفدت من حفظ الزاد أشياء كثيرة ومن أهمها:

أولاً: أنني عرفت قول المذهب في المسائل الفقهية.

ثانياً: أنني عرفت مكان المسألة في الزاد فإذا طرحت عليّ أو أردت البحث في أي مسألة عرفت مكانها في الزاد وبقية كتب الفقه في المذاهب، ولا شك أن هذه فائدة عظيمة وبخاصة في بعض المسائل الفقهية التي توجد في أبواب متفرقة أو في باب يكون الرابط بينها غير واضح.

٣ - العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٤ - العقيدة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٥ - كتاب التوحيد مع مسائله لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

٦ - الأصول الثلاثة والقواعد الأربع وشروط الصلاة لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

٧ - كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

٨ - عمدة الأحكام.

٩ ـ (١٠٠٠) حديث من بلوغ المرام.

١٠ ـ الأربعين النووية.

١١ ـ متن الرحبية في الفرائض.

١٢ ـ (٥٠٠) بيت من ألفية ابن مالك.

١٣ ـ قطر الندى، وقد أتقن الشيخ ـ رحمه الله ـ حفظه حتى قال لي إنني إذا دعاني أحد الأصدقاء وقت الطلب قرأت القطر كاملاً حفظاً في طريقي.

١٤ ـ الآجرومية.

١٥ ـ كثيراً من الأدبيات الشعرية في الحكم والأمثال والوعظ.

أعماله:

كان الشيخ ـ رحمه الله ـ جلداً في أثناء ملازمته لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، قال لي إنني كنت أراجع محفوظاتي في السطح في الشتاء وفي الصيف في خلوة(١) المسجد، ولما ذكر للشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ جده واجتهاده جعله في حجرة خاصة ثم عينه قاضياً في

(١) قبو المسجد.

سدير عام ١٣٦٨هـ وفي عام ١٣٧٠هـ فتح المعهد العلمي في الرياض فطلب الشيخ - رحمه الله - من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم الدراسة فيه، ولم يستجب الشيخ لطلبه لعلمه بقدراته العلمية ثم قال له: الذين يدرسون سيتخرجون قضاة، وأنت الآن قاض.

مكث الشيخ في سدير قاضياً نحو أربع سنوات، وفي أثناء وجوده فيها كانت له دروس علمية في الفقه وغيره.

انتقل بعد ذلك إلى محكمة شقراء وتوابعها، وفي عام ١٣٧٤هـ فتح المعهد العلمي ودرس فيه التوحيد والفقه، وفي أثناء وجوده في شقراء كُلِّف بعمل في الرياض مع اثنين من القضاة للنظر في مشاكل الأراضي عام ١٣٧٨هـ.

انتقل إلى رئاسة محاكم الأحساء في أواخر عام ١٣٧٨هـ، وبقي في الأحساء إلى قرب نهاية عام ١٣٩٠هـ، ثم انتقل إلى الرياض للعمل في محكمة التمييز، وفي عام ١٤٠١هـ انتقل إلى العمل في مجلس القضاء الأعلى، وبقي فيه حتى طلب التقاعد في أواخر عام ١٤٠٩هـ.

في عام ١٣٩١هـ شكلت هيئة كبار العلماء، وقد شمله ذلك

وبقي فيها حتى سافر للعلاج في نهاية عام ١٤١٣هـ، وقد عرض عليه بعد عودته الانضمام مرة أخرى لهيئة كبار العلماء فاعتذر لظروفه الصحية، حيث بدا عليه التعب والإجهاد وصعب عليه السفر والجلوس الطويل.

- ومنذ عام ١٣٩١هـ وحتى وفاته - رحمه الله - كانت له مشاركة في برنامج «نور على الدرب» في الإذاعة، وكان آخر تسجيل له في شهر شعبان عام ١٤١٩هـ لما أحس بزيادة التعب والإرهاق سجل بعض الحلقات وكانت آخر ما سجل رحمه الله.

قراءاته:

كان الشيخ - رحمه الله - كثير القراءة، يبدأ بالقراءة عليه الساعة العاشرة صباحاً ثم يتوقف لصلاة الظهر، ثم بعد الصلاة حتى الساعة الثانية ظهراً، ثم يخلد للراحة قليلاً ثم بعد صلاة العصر يقرأ عليه بعض الطلاب في بعض المتون حتى المغرب، ثم بعد صلاة المغرب له قراءة حتى صلاة العشاء مع بعض طلبته، ثم بعد صلاة العشاء يقرأ حتى الساعة التاسعة والنصف، ولذا فقد كنت أرى المجلد بجواره، ثم خلال أيام قليلة يخبرني بعد سؤالي أنه انتهى من قراءته، فكان يمسح كتباً كثيرة

في أيام قليلة.

والشيخ - رحمه الله - كثير السؤال عن جديد الكتب، فإذا عرض عليه بعض أسمائها انتقى منها ما يحتاج وقرأها، وحتى لما كان في المستشفى في مرضه الذي توفي فيه كان يقرأ عليه بعض الرسائل والكتب الجديدة التي خرجت.

تلاميذه:

لم يذكر لي الشيخ تلاميذَ له في البلاد التي درس فيها، وأما في الرياض فقد كانت أكثر دروس الشيخ - رحمه الله - في بيته، وهي متفرقة، فأيام لبعض الطلاب، وأيام لبعضهم الآخر، فهي أشبه ما تكون بالدروس الخاصة، ولذا فسأذكر من الطلاب منْ كنت أراهم يترددون على الشيخ أو أخبرني الشيخ بهم فمنهم:

١ - علي بن سليمان الشويهي قاض بمنطقة نجران.
٢ - صالح بن محمد الزكري - كاتب عدل بالرياض.
٣ - ناصر علي البراك - مدرس بوزارة المعارف.

٤ ـ عبدالمجيد العبود ـ قاض في ثادق .

٥ ـ علي أبا الخيل ـ مدرس بوزارة المعارف .

٦ ـ عبدالمحسن القاسم ـ قاض بالمدينة المنورة .

٧ ـ أحمد الخليفي ـ قاض بخميس مشيط .

٨ ـ أسامة الخميس ـ موظف بالرئاسة العامة لتعليم البنات .

٩ ـ علي الجويسر ـ مدرس بوزارة المعارف .

١٠ ـ محمد حجازي .

١١ ـ سليمان العجلان ـ موظف .

١٢ ـ طارق بن محمد الخويطر ـ مدرس بمعهد القرآن الكريم بالحرس الوطني .

مؤلفاته :

لم يكن للشيخ ـ رحمه الله ـ اتجاه للتأليف ويرجع ذلك ـ والله أعلم ـ إلى انشغاله بالقضاء ثم التعليم في الأماكن التي تولى القضاء فيها، غير أنه له بعض البحوث الصغيرة، كان قد بحثها في أثناء عمله في محكمة التمييز وفي مجلس القضاء الأعلى، وقد طبع منها رسالة صغيرة بعنوان (قتل الغيلة) وأصل هذه الرسالة وجهة نظر بخصوص قتل الغيلة وقد

حرر فيها ـ رحمه الله ـ قول المالكية الذي اعتمده من قال: إن قاتل قتل الغيلة يقتل حداً ولا يجوز العفو عنه، وقد طبعت الرسالة عام ١٤١٩هـ، وفي الطريق إن شاء الله فتاوى الشيخ في برنامج «نور على الدرب» في مجلدات مرتبة مفهرسة.

صفاته وأخلاقه:

عرفت الشيخ صالح بن غصون ـ رحمه الله ـ منذ عام ١٤٠١هـ سألته عن مسألة فقهية في المسجد فعرض عليّ الحضور إلى بيته لدراسة هذه المسألة، وهو إذ ذاك عضو في مجلس القضاء الأعلى، فأعجبني تواضعه أن يبحث في مسألة فقهية مع طالب في المرحلة المتوسطة، واستمرت علاقتي به وتوطدت حتى أذن لي ـ رحمه الله ـ في دروس خاصة في بيته في الفقه والعقيدة والفرائض وباقي العلوم الشرعية، وقد استفدت كثيراً من دروسه إضافة إلى الفائدة العظمى وهي فائدة الأخلاق والتواضع والآداب فكنت أراقبه في طريقة سلامه وكلامه واحترامه للناس واستقبالهم والشفاعة لهم بما يستطيع، فأعجب من صبره واحتسابه للأجر، وقبل هذا الاهتمام حرصه على أمور العبادة: يضع الشيخ

اهتمامه الأول في أمور العبادة، فهو حريص على الصلاة في المسجد رغم ما يمر به من ظروف صحية شديدة، ولا أذكر خلال صلاتي معه في المسجد تسعة عشر عاماً أني رأيته في جماعة أخرى بعد انصراف الإمام بل ولا أذكر أنني رأيته في الصف الثاني.

رأيته كثير القراءة للقرآن الكريم فكان يختم - رحمه الله - القرآن كل ثلاثة أيام، وأحياناً كل أربعة أو خمسة إذا أحس بالتعب والإرهاق نتيجة ظروفه الصحية الأخيرة، وقد كنت أستمع إلى قراءته ومعي مصحف بين أذان العشاء والصلاة، فيقرأ ما يقارب العشرين وجهاً وأحياناً أقل، ولا يخطىء في آية أو كلمة، بل عجبت منه كثيراً فهو يقرأ القرآن في أي وقت تسنح فيه القراءة ولو كان قصيراً كما بين نزوله من السيارة إلى المنزل، بل أكثر من ذلك لما أقرأ عليه بعض المتون في بيته كنت إذا قمت لأحضر شيئاً عند باب الغرفة سمعته يقرأ حتى أرجع ويردد - رحمه الله - إنني أريد القرآن أنيساً لي في القبر.

حبه للعلم ولطلبة العلم:

رحمه الله - دائم النصيحة والتذكير بحقوق الله، ثم كان له من القبول

عند طلبة العلم الشيء الكثير، فهو يسرد خبرته في الحياة وتنقلاته وهو كفيف البصر، ثم يتبع ذلك كله بوجوب شكر النعم والمحافظة عليها.

كان دائماً مشجعاً على مواصلة العلم وعلى أهمية القراءة والتعلم في سن الصغر، حيث قوة الذاكرة وقلة المشاغل.

سألته عن وقت قراءته في اليوم فأخبرني بأوقاتها فعددت ساعاتها فوجدتها بين الثماني والعشر ساعات، إضافة إلى استماعه لبعض الأشرطة وإلى إذاعة القرآن الكريم.

رغم مراجعته للمستشفى ورغم ما أراه أحياناً من تأثر صحته إلا أنه لم يعتذر عن الدرس الذي جلس له، فقد كان محباً للقراءة والفائدة، ذهبت في أيامه الأخيرة زائراً له في المستشفى وكان واضح الإجهاد والإرهاق فعجبت من سؤاله عن كتب نزلت جديدة في السوق، فأخبرته بثلاثة كتب نزلت حديثاً يقيناً مني أنه لم يسمع بها، وتفاجأت بجوابه بأنه قرأ الأول والثاني وقرأ كثيراً في الكتاب الثالث.

طلبت منه كتاب الاختيارات لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقبل أن يعطيني إياه ضمه إلى صدره ووجهه، وقال: إني أحب يا طارق علماءنا، وأرجو الله أن يحشرني معهم في جنات النعيم.

لقد كان الشيخ - رحمه الله - متصفاً بصفات العلماء العاملين العابدين، كان مثالاً للمسلم العامل في مجتمعه، فقد أدى حقوق المولى جل وعلا، ثم أدى حقوق العباد، قضى عمره طالباً للعلم لم يفتر عن القراءة والمراجعة والحفظ والاطلاع على كل جديد، طالما ارتاد مجلسه طلاب العلم وغيرهم فتلقاهم ببر وبشر، واستقبلهم بهشاشة وبشاشة، وتهلل وجه واشراق منظر، أصاب حبه من الناس شغاف قلوبهم، وحل في قلوب طلبة العلم ألطف محل ونزل منها أكرم منزل، من بحث مسألة علمية حظي بالقرب، فهو أحسنهم عنده موقعاً، وأقربهم مكاناً، ذلك أن الشيخ - رحمه الله - قد أحب العلم حتى صار حديثه الذي لا يمل، ومطالعته التي لا تنقطع.

مداومته مساعدة المحتاجين:

رأيت كثيراً من المحتاجين يتوافدون على الشيخ - رحمه الله - فكان يبرّ المعتر ويمول المؤمل ويكافي المعافى، ويوفي المعتفي، فما أهداه إلى فعل الخير! وما أعرفه بطرق البر! وما أسلكه لسبل الإحسان والفضائل! وأتركه لركوب طرق الرذائل! فلله تلك السجايا الكريمة، طالما تذكر

حياته القضائية والتي بلغت أربعة عقود من الزمن تذكرها - رحمه الله - فحمد الله أنه اجتهد في قضائه ولم يظلم أو يحابي أحداً، بل كان مشيراً لكل من استشاره، معاوناً لكل من طلب منه العون بما يستطيع، حفلت حياته - رحمه الله - بالجد والمثابرة والصبر فكانت جهاداً مباركاً في كل شيء - رحمه الله - فقد كان واسع الصدر عف الضمير، نقي السريرة، عفيف الغيب، نظيف الجيب، حسن القناعة، شديد النزاهة، فإن أردنا أن نعزي فإنما نعزي أنفسنا بموت عالم سد ثغرة يصعب سدها بعد وفاته، ومن أراد أن يعزي فعزاؤه للناس أجمعين، فالكل مصاب مضرور بموت الشيخ.

زهده وكرمه:

كان - رحمه الله - عزيز النفس لم يهن نفسه في طلب أمر من أمور الدنيا، وقد حضرته مرة وقد اتصل به أحد التجار الكبار للسؤال، وقال له السكرتير: هذا بيت فلان، فقال الشيخ - رحمه الله - هذا الهاتف للأسئلة لجميع من أراد، وكأنه - رحمه الله - أحس أن ذكر السائل لاسمه ليعطي منزلة خاصة.

ـ أما كرمه فلطالما رأيت من يحضر المسجد للسؤال من الفقراء، وأرى الشيخ دائماً يخرج المال ويعطي من يعطي الفقير إضافة إلى المساعدات الأخرى التي كان يقدمها للعوائل المحتاجة.

رقة قلبه:

وأما رقته فكان كثير البكاء، وقد رأيته في المسجد يبكي عند قراءة الإمام في تفسير ابن كثير، وذكر قيام الرسول ﷺ آخر الليل، وعبادته، ورأيته أيضاً يبكي عندما يأتي ذكر لوالدته فتدمع عينه ثم يدعو لها بالرحمة والمغفرة.

ذكاؤه ونباهته:

وأما ذكاؤه ونباهته فقد وهبه الله ذاكرة عجيبة، حتى قال لي مرة: إنني لم أكن أعرف معنى كلمة النسيان لما كنت صغيراً، وكنت إذا ذكرت لي الفائدة حفظتها وحفظت مكانها في الكتاب.

كان ـ رحمه الله ـ كالمبصر يمشي وحده ويصف الأشياء كأنه ينظر إليها، وأذكر أنه وصف لنا طريق الطائف ـ مكة وصفاً دقيقاً يعجز عنه

المبصر، كما كان له ـ رحمه الله ـ مجلس يوم الجمعة وكان يحضره كثير من الزوار ومع ذلك كان إذا دخل الشخص المجلس وقال السلام عليكم، سمعت الشيخ يقول وعليكم السلام أهلا بفلان أو بأبي فلان رغم أن بعضهم يمكث سنوات عن الشيخ وبعضهم من خارج الرياض، وقد حضر عنده اثنان يريدان مناقشته ثم ذكر لي الشيخ فيما بعد أنه كان يحس أن أحدهما يشير للآخر ويحاول إسكاته.

محبته للخير:

وأما محبته للخير فكان دائم الشفاعة بقدر طاقته حتى في مرضه الذي توفي فيه، قبل وفاته حضرت عنده امرأة كبيرة السن، وذكرت له أن ابنها يعمل في المنطقة الشرقية، وأنها تعيش بعيدة عنه، فلما رآها الشيخ متأثرة سعى في الموضوع بنفسه، وقد كان يقطع القراءة، وأراه يتصل بنفسه متابعاً الموضوع حتى تمت الموافقة على نقل الابن.

كما كان يحث الشباب على العلم والعمل، وقد حضرته مرة وحضر عنده شاب عمره فوق العشرين، فسأله الشيخ عن دراسته فقال الشاب: إنني بدون عمل وبدون دراسة، معتقداً أن الشيخ يعجبه هذا الحال، فتأثر

الشيخ ثم صب عليه وابلاً من النصائح، موضحاً له أن ذلك من العيب وليس من الفخر.

يجيب على المستفتين بالهاتف:

وأما بذل نفسه للناس فالهاتف الخاص بالفتاوى كان لا ينقطع عن السائلين من داخل المملكة ومن خارجها، ومع ذلك كان الشيخ يرد على الأسئلة في كل وقت، وكثيراً ما كان يتأثر ببعض الأسئلة التي تحكي واقعاً مراً لبعض الآباء والأمهات أو الأولاد، فتراه أياماً كثيرة متأثراً بقصة سائل.

تواضعه:

وأما تواضعه ورغبته في طلب العلم فقد كان - رحمه الله - عضواً في المجلس الأعلى للقضاء عام ١٤٠٦ - ١٤٠٧هـ، ومع ذلك فرغ أربعة أيام بعد صلاة العصر إلى أذان المغرب لبعض طلبة العلم، مع أنه كان لا يصل إلى بيته إلا قبيل أذان العصر، ثم يتفرغ ليلاً لمراجعة بعض القضايا، وقد يمتد به وقت المراجعة إلى الثانية عشرة ليلياً.

لقد كان - رحمه الله - لإخوانه خير قدوة، وأحسن أسوة، آدابه

فاضلة، وأخلاقه عالية، ومعارفه سامية ومروءته تامة، وعقله كبير.

كان ـ رحمه الله ـ خير جليس، لا يمل الإنسان من أحاديثه كلما تحدث في موضوع نثر عليك خبرته في الحياة، فتجد علماً ومعرفة، ثم نصحاً ومشورة.

كان ـ رحمه الله ـ نموذجاً نادراً رائعاً للمسلم العامل العابد المؤثر في بيته وفي مجتمعه، رجل أعطى أهل الحقوق حقوقهم، وتفضل على غيرهم، وقبل ذلك كله تفرغ للعبادة وقراءة القرآن والكتب الشرعية، فحظي وقته بالبركة، واتسمت حياته بالتوفيق، رجل شق حياته رغم المصاعب فسل سيف الجد والمثابرة، وصار يقتل كل دعة أو سكون أو إخلاد للراحة، عاش ـ رحمه الله ـ صالحاً عابداً، أحسن إلى من استطاع، وعطف على من قدر، ولطف مع من تحدث معه، وساعد وشفع لمن احتاج بقدر طاقته ووسعه، فتبوأ منزلة في سويداء القلوب، أحبه الناس لما لمسوه من أخلاقه وتواضعه وجده، أحبه الكبير لتواضعه وعلمه، وأحبه الصغير لملاطفته، وأحبه القريب لبره وإحسانه. كان ـ رحمه الله ـ عوناً لليتامى والثكالى يمسح بيده عليهم فيطرد الحزن والاكتئاب عنهم لتحل بهم السعادة والفرح والأنس، فهو والد للجميع، فقده الناس

جميعاً ولذا فهم يعزون بعضهم، فالجميع أبناؤه وأحباؤه، لقد افتقده - رحمه الله - أهله فهو رحيم بهم، وطلابه فهو معلم حصيف لهم، وجماعة مسجده فهو سارية من سواري المسجد، وافتقده البعيد الذي يحظى بعلم الشيخ عن طريق الهاتف، وأخيراً افتقده الفقير الذي لم يطرق بيت الشيخ إلا وحظي بمعونة ومساعدة، فكلهم قد حزنوا وفجعوا وما لهم إلا الصبر والدعاء.

أولاده:

للشيخ أولاد وبنات استفادوا من سيرة والدهم - رحمه الله - وتربيته وتوجيهاته وحثه على العلم، فمنهم الضابط والمدرس والموظف، كما أن له من حصل على الدكتوراه وبعضهم على الماجستير.

مرضه ووفاته:

في عام ١٤٠٩هـ أحس الشيخ - رحمه الله - بتعب وإجهاد، وبعد فحوصات أجريت له تبين وجود داء في الكبد، وقد تطور هذا الداء حتى أشار عليه الأطباء في الداخل والخارج بإجراء عملية زراعة كبد،

وبخاصة أن جسمه يتحمل هذه العملية في ذلك الوقت، ومع عدم رغبته في السفر إلى الخارج فقد اضطر للسفر إلى الولايات المتحدة وإجراء عملية زراعة كبد، وكان ذلك في عام ١٤١٣هـ، ثم رجع إلى الرياض وصارت له متابعة في مستشفى الملك فهد بالرياض، وفي إحدى مراجعاته للطبيب شكا إليه أنه يتضايق بعد الأكل، فطلب الطبيب عمل أشعة تبين من خلالها وجود أورام في البطن ثم دخل الشيخ - رحمه الله - المستشفى وأخذت للأورام عينة قرر الأطباء الاستعجال في استئصالها واقترحوا على الشيخ إجراء هذه العملية في الولايات المتحدة نظراً لوجود متابعة له هناك، وسافر الشيخ وأجريت له عام ١٤١٨هـ عملية استئصال أورام خبيثة في ثلاث أماكن في البطن ثم شفي تماماً من هذه الأورام، وفي شهر صفر عام ١٤١٩هـ عاوده نفس المرض ولكن هذه المرة في الكبد، وتعسر زرع كبد أخرى، ومنذ شهر صفر والشيخ - أسكنه الله فسيح جناته - يشكو الآلام ويصبر، ومع شدة الأوجاع التي كانت ملازمة له إلا أنه - رحمه الله - كان مواصلاً للقراءة والاطلاع، وقد كنت أقرأ عليه ثم أسمع الشيخ يتألم ويضع يده على بطنه فأتوقف عن القراءة قليلاً، ثم يقول الشيخ أكمل، وكنت أسأله إذا كانت القراءة تثقل

عليه أو تضايقه حتى أتوقف ويستريح، فيقول بل تؤنسني فأعجب من هذه الهمة الشامخة والنفس الصابرة الأبية والفؤاد الممتلىء يقيناً، وفي أواخر شهر رمضان ازداد عليه الألم فدخل المستشفى ثاني أيام عيد الفطر، ثم خرج منه قبيل عيد الأضحى ورجع إليه بعد عيد الأضحى مباشرة، ثم توفي - رحمه الله - يوم السبت الموافق السابع عشر من شهر ذي الحجة من عام تسعة عشر وأربعمائة وألف، الساعة العاشرة والنصف مساء، وصلي عليه في مسجد الراجحي عصر الأحد ودفن في مقبرة النسيم، وقد حضر جنازته خلق كثير غص بهم المسجد والمقبرة ولم يستطع كثير من الناس الوصول إلى قبره، إلا قرب أذان المغرب، وأما العزاء في بيته فقد امتد من يوم الأحد ١٨/ ١٢/ ١٤١٩هـ إلى يوم الجمعة ٢٣/ ١٢/ ١٤١٩هـ وقد حضر للعزاء جموع غفيرة في منزل الفقيد من كبار رجال الدولة ومن هيئة كبار العلماء والقضاء والأساتذة وطلاب العلم، وقد رثي - رحمه الله - بقصائد ومقالات كثيرة في الجرائد والمجلات الداخلية والخارجية.